صفة

الجليس الصالح والجليس السوء

بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا تقبَّلْ منَّا
إنك أنتَ السَّميعُ العَليمُ

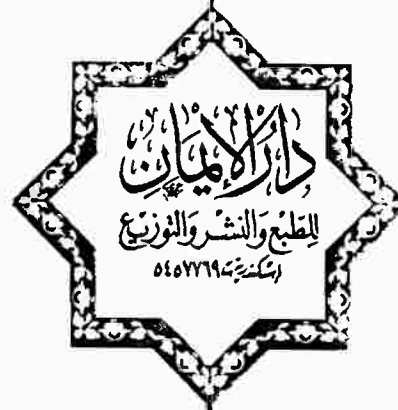

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع ٨٧٢٣ / ١٩٩٤

الترقيم الدولي

977-5191-25-9

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
« المرءُ مع من أحب »

صفة
الجليس الصالح والجليس السوء

تأليف
عمرو عبد المنعم سليم

دار القمة
للتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
ص.ب: ٦٩ ٥٤٥١١ ت: ٥٤٤٤٩٦

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ٥٤٥٢٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فقد أخبر الصادق المصدوق صلوات ربى عليه وسلامه بما سوف يُبتلى به الناس من سوء الصحبة ، ورداءة العشرة ، فقال ﷺ :

« لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم »[1].

ومثل هذا مُشاهد بوضوح وجلاء فى عصرنا هذا، بعد أن تخلى الناس عن القرآن والسنة، وساروا فى طلب المادية، وابتعاء الدنيا فكثر بذلك جلساء السوء.

وقد كتبتُ إليك – أخى المسلم – هذه الرسالة اللطيفة :

تذكيراً وتنبيها .

تذكيراً : بصفة من يجب عليك مجالسته، ومن لا يجب .

وتنبيهاً : على بعض الصفات التى حذرنا منها الله ورسوله، والتى استحق أن

---

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (٢٢٣/٤) ، والترمذى (٢٢٠٦) من طريق : الزبير بن عدى ، عن أنس به .

يوصف بها حاملها بوصف :

« **جليس السوء** » .

فتعالى معى أخى المسلم لنتعرف فى الفصول القادمة على :

أهمية اختيار الصحبة الصالحة .

وكيف ذم الله ورسوله جليس السوء .

وصفة الجليس الصالح .

ومكانة الوحدة والعزلة من عصر كَثُرَ فيه الخبث .

وأصناف جليس السوء .

وكيف نتعامل مع جلساء السوء .

وإنى لأدعو الله عز وجل أن ينفعنا وإياك بهذه الرسالة

إنه على كل شئ قدير

وكتب

عمرو عبد المنعم

أهمية اختيار الصحبة

الأمر بمصاحبة أهل الصلاح والنهي عن مصاحبة قرناء السوء

أخي المسلم :

ما أعظم الضرر الذى يلحق المرء بمخالطته لأهل السوء وطلاب الدنيا، وما أعظم النفع الذى يحصل له من مخالطته لأهل الصلاح والتقى والورع .

فإن الطبع يسرق، والنفس تشتهى ما تراه، والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فيزين له الخبائث ويجمل له الشهوات، حتى إذا ما قضى وطره منها أصابته اللعنات، وتنزلت عليه صنوف العذاب، وامتنعت عنه الرحمات .

ولذلك فقد اهتم الإسلام بحث متدينيه على حسن اختيار الصحبة، فقال عز وجل مخاطباً نبيه الكريم ﷺ :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ . [الكهف : ٢٨].

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ :

« واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى، بذكرهم إياه بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والدعاء، والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها، يريدون بفعلهم ذلك وجهه، لا يريدون به عرضاً من عرض الدنيا »[1] .

لماذا هذا ؟

لأن هذه الصحبة الصالحة لا تأتى إلا بخير، فهم الجلساء لا يشقى

---

(١) انظر « تفسير الطبرى » (١٥/١٥٤).

جليسهم، ولا يندم مخالطهم ، ففيهم من الأخلاق الحميدة ، والصفات الجميلة ما يجعل صحبتهم محثوثاً عليها ، مندوباً إليها .

ثم أتبع عز وجل هذا الأمر بالنهى عن مصاحبة المشركين ، وذوى السرائر الخبيثة، والنفوس الدنيئة ، وإن كانوا ذوى حسب ونسب وشرف ، فقال عز من قائل :

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٢٨].

ففى هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بألا يصرف عيناه عن هؤلاء الذين أمره بصحبتهم فى أول الآية إلى غيرهم من الكفار ، وإن كانوا ذوى حسب ونسب (١).

فالآية قد احتوت على أمر ونهى ، فأما الأمر فيقتضى الوجوب ما لم تأت قرينة فتصرفه إلى غير ذلك ، وكذلك فالنهى يقتضى التحريم ، ما لم تأت قرينة تصرفه إلى الكراهة .

وفى هذا دلالة واضحة على أهمية الصحبة وحسن اختيارها، وأن اختيارها إنما يكون على أساس الدين والصلاح فى النفس ، وإن كان مَنْ تصاحبه من الفقراء أو المعدمين ، بخلاف من يجب عليك ترك صحبته من أصحاب الصفات الذميمة ، وإن كانوا أصحاب مالٍ أو جاه .

ألم تسمع – أخى المسلم – قول رسول الله ﷺ :

« إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » (٢).

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى (١٥٧/٣) ، ومسلم (٢١٤٧/٤) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

فالمرء لا يُوزن بعظم الجسم وبسطته، ولا بكثرة المال ووفرته ، ولا بسطوة الجاه وعلو المرتبة ، وإنما يوزن بالتقوى والورع .

فالفقير أو المعدم أو الضعيف إن كان من أهل الدين والصلاح والخير فإما أن يعينك على أمر دينك أو يساعدك فى أمور الدنيا ، أو أن تجد من حسن تصرفه وجمال منطقه وتمام نصحه ما تنتفع به، أو أن لا يضرك بسكوته عنك .

وأما الغنى أو الشريف أو صاحب الجاه إن كان من أهل الفساد والسوء فإما أن يضرك بسوء فعله أو قبيح قوله ، وإما أن يسؤك بذميم تصرفه ، وإن لم تكن مقصوداً به .

قال ابن حبان - رحمه الله - : « كل جليس لا يستفيد المرء منه خيراً تكون مجالسة الكلب خيراً من عشرته ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم »[(١)].

وإلى هذا المعنى الذى ذكرناه يشير حديث النبى ﷺ :

« **إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك،وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[(٢)].

قال الإمام النووى - رحمه الله -[(٣)]:

« فيه : فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق

---

(١) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء »: (ص ١٠١).

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد (٤٠٨/٤) ، والبخارى (٣١٤/٣)، ومسلم (٢٠٢٦/٤) ، وأبو الشيخ فى « الأمثال » (٣٢٥) من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه ، وقد ذكرت بعض طرقه فى تعليقى على جزء من أمالى الحافظ ابن عساكر،وهو المجلس رقم (٥٣) فى « ذم قرناء السوء »، وهو مطبوع .

(٣) « شرح صحيح مسلم » : (طبعة الشعب : ٤٨٤/٥).

والورع والعلم والأدب ، ونهى عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته ، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة » .

وقال العلامة محمد بن علان المكى الشافعى [١]:

« أى فجليس الأخيار إما أن يُعْطى بمجالستهم من الفيوض الإلهية أنواع الهبات حباءً وعطاءً، وإما أن يكتسب من المجَالس خيراً وآداباً يكتسبها عنه، ويأخذها منه ، وإما أن يكتسب حسن الثناء بمخَاللته ومخالطته » .

وهذا المعنى الذى ذكره ابن علان ظاهر، وعليه دليل من السنة النبوية الشريفة، وهو ما ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه :

عن النبى ﷺ، قال :

« **إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا، يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم، حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا انصرفوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال : فيسألهم الله عز وجل - وهو أعلم بهم - من أين جئتم؟ فيقولون جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال : وما يسألونى؟ قالوا : يسألونك جنتك، قال : وهل رأوا جنتى؟ قالوا : ويستجيرونك، قال : ومما يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يا رب، قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك، قال : فيقول : قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قالوا : يقولون : رب فيهم فلان عبدٌ خطَّاء، إنما مر فجلس معهم، قال : فيقول : وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**» [٢].

---

(١) « دليل الفالحين » لابن علان : (٢٢٩/٢) .

(٢) **حديث صحيح**، رواه الإمام أحمد (٢٥١/٢، ٢٥٢)، والبخارى (١١٤/٤)، ومسلم (٢٠٦٩/٤) والترمذى(٣٦٠)، والحاكم (٤٩٥/١)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١١٧/٨) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ، وقد ذكرت بعض طرقه فى تعليقى على « المذكر والتذكير والذكر » (ص ٢٠) .

فانظر إلى هذه المكافأة الكبيرة والمنّة العظيمة من الله سبحانه وتعالى إلى جليس الصالحين فى مواطن الذكر والعبادة وعمل الصالحات ، وإن لم يشاركهم فى عملهم هذا .

قال النووى - رحمه الله - [١] :

« فى هذا الحديث فضيلة الذكر ، وفضيلة مجالسه ، والجلوس مع أهله، وإن لم يشاركهم ، وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم » .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن النبى ﷺ قال: « **المرء مع مَنْ أحب** »، فبين ﷺ بذلك أهمية الصحبة، وحسن اختيارها، وحصول المعية للمرء مع أصحابه، وإن لم يعمل بعملهم ، فقد وقع فى إحدى روايات الحديث ، قيل للنبى ﷺ : الرجل يحب القوم ولَمّا يلحق بهم، قال: « **المرء مع من أحب**»[٢].

قال النووى - رحمه الله - : « ولا يشترط فى الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم » ، وقد رُوى أن داود النبى عليه السلام كان يقول : **اللهم لا تجعل لى أهل سوء، فأكون رجل سوء** [٣]، وقال محمد بن نضر الحارثى : أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام : **يا موسى كن مرتاداً لنفسك أخداناً، وكل خدن لا يواتيك على مسرتى فلا تصحبنه فإنه عدوى** [٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا رزقكم الله عز وجل مودة امرئ

---

(١) شرح صحيح مسلم (٥٤٥/٥) .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى (٧٦/٤)، ومسلم (٢٠٣٤/٤) من طريق : الأعمش، عن أبى وائل، عن أبن مسعود .

(٣) رواه ابن المبارك فى « الزهد » (٣٦٠) : أخبرنا عمر بن سعيد بن أبى حسين، عن ابن أبى مليكة، قال: سمعت عبيد بن عمير، قال : بلغنى أن داود ... فذكره ، وسنده صحيح إلى عبيد بن عمير .

(٤) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٢٢٨/٨)، وابن عساكر فى«ذم قرناء السوء » (٨)، وسنده صحيح .

مسلم فتشبثوا بها [١]، وعن الحسن البصرى - رحمه الله - قال : « المؤمن مرآة أخيه ،إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده وقومه وحاطه وحفظه فى السر والعلانية، وإن لك من خليلك نصيبًا ، وإن لك نصيبًا من ذكر من أحببت ، فثقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس » [٢].

وعن سفيان بن عينيه - رحمه الله - قال : «من أحب رجلاً صالحًا فإنما يحب الله تبارك وتعالى »[٣]، وعن وهب بن منبه - رحمه الله - قال : « إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس » [٤]، وعن عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهبًا - يعنى بن منبه - يخطب الناس على المنبر، فقال : « احفظوا منى ثلاثًا : إياكم وهوىً متبع، وقرين سَوْء، وإعجاب المرء بنفسه »[٥].

قال ابن حبان :

« العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار، لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، بطئ انقطاعها ،ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطئ اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول فى جملتهم ، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب، لئلا يكون مريبًا، فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر» [٦].

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى « الإخوان » (٣٢) بإسناد رجاله ثقات .
(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى «الإخوان » (٥٥) بسند حسن .
(٣) رواه ابن حبان فى روضة العقلاء ص ١٠٠ بسند حسن .
(٤) رواه ابن حبان فى روضة العقلاء ص ١٠٠ بسند حسن .
(٥) رواه ابن عساكر فى « ذم قرناء السوء » ص ١٢ بسند حسن .
(٦) « روضة العقلاء » ص ٩٩ .

ومما أنشد فى حسن اختيار الصحبة :

ابْـل الرجـال إذا أردت إخاءهـم وتوسـمـن أمورهـم وتفـقـد
فإذا وجدت أخا الأمـانة والتقـى فيه اليدين - قرير عين-فاشدد
ودع التذلـل والتـخسع تبتغـى قرب امرئ إن تدن منه تبعـد [١]

وأنشد محمد بن اسحاق بن حبيب الواسطى :

اصـحب خيـار الناس أين لقيتـهم خيـر الصـحابة من يكون ظريفًا
والناس مثل دراهـم ميزتـهـا فرأيت فيـها فضـة وزيوفًـا [٢]

وأنشد محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

عليك بإخوان الثقـات فإنهـم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وصنها فإنهـا متى تجالس سفلة الناس تغضـب [٣]

وأنشد بعضهم :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدى [٤]

(١) هو شعر للمقنع الكندى ، انظر « روضة العقلاء » ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، وأورده ابن ابى الدنيا فى « الإخوان » ص ٣٣ بسند فيه مجهول كان سفيان الثورى يتمثل : فذكره .
(٢) « روضة العقلاء » ص ١٠٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٩٩ .
(٤) « آداب الصحبة » للسلمى ص ٤٢ .

صفات الجليس الصالح

ولعلك تتساءل - أخى - فى نفسك ، فتقول :

ولكن ما هذه الصفات التى يجب أن تتوافر فيمن نتخير صحبتهم، ونطلب فضْل مجالستهم ؟!!

فالجواب أخى المسلم - على الإجمال - هى كل صفة حميدة حث عليها الشرع الحنيف ، مثل :

تقوى الله عز وجل

فإن من اتقى الله عز وجل راعى حرمات أصحابه وجلسائه وعوراتهم، فلا يصيبهم إلا الخير الجزيل، والفضل الكثير ، فالمتقى لا يُرائى الناس، ولا يتعرض لهم بما يؤذيهم أو يؤذى دينهم

حسن الخلق :

فقد قيل للنبى ﷺ : ما خير ما أُعْطِىَ العبد المسلم؟ قال: « **خلق حسن**»[(١)]، وسُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان أحسن الناس خلقًا، ولم يكن فاحشًا ، ولا متفحشًا ، ولا سخابًا بالأسواق ، ولكن يعفو ويصفح[(٢)].

حسن الظن :

فالمؤمن يطلب معاذير إخوانه ، والمنافق يطلب عثراتهم ، وقد ورد النهى فى الكتاب والسنة عن سوء الظن . قال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً**

---

(١) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد (٢٧٨/٤)، والحميدى (٨٢٤)، والبخارى فى (الأدب المفرد) (١٠٩)، وابن ماجة (٣٤٣٦) من حديث أسامة بن شريك

(٢) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد (٢٣٦/٦)، والترمذى (٢٠١٦) من طريق أبى إسحاق، عن أبى عبد الله الجدلي، عن عائشة به

مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات : ١٢]، وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** » (١).

قال الإمام النووى – رحمه الله – : « المراد بذلك : عقد القلب وحكمه على غيرك بالسوء » ، وقال ابن علان الشافعى – رحمه الله – : « كأن يظن بهم نقصاً فى دين أو مروءة من غير أن يدل لذلك دليل » .

الصفح عن العثرات :

لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر : ٨٥]، وقال عز من قائل : ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن : ١٤] ، وقال سبحانه : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة : ١٣] ، فالصفح عن عثرات الإخوان والتجاوز عن أخطائهم وترك تأنيبهم عليها خلق سام ، لا يؤتاه إلا من صفت نفسه ، وهذبت أخلاقه ، حتى وصفه الله تعالى فى كتابه بالإحسان .

وقد قال النبى ﷺ : « **من أقال مسلمًا عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة** » (٢)، وأنشد هلال بن العلاء الرقى فى ذلك :

اقبل معاذير مَنْ يأتيك معتذراً ... إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا (٣)

---

(١) حديث صحيح ، رواه البخارى (٦٠/٤) ، ومسلم (١٩٨٥/٤) ، وأبو داود (٤٩١٧) من طريق مالك، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة به .

(٢) حديث صحيح ، رواه أحمد (٢٥٢/٢) ، وأبو داود (٣٤٦٠) ، وابن حبان (٢٢٠٣) ، والحاكم (٤٥/٢) ، والخطيب (٢٩٦/٨) من طريق يحيى بن معين، عن حفص بن غياث، عن الأعمش ، عن أبى الصالح، عن أبى هريرة ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وللحديث طرق أخرى ذكرتها فى كتابى « النقد الصريح لأجوبة الحافظ بن حجر عن أحاديث المصابيح » ، وهو تحت الطبع ، دار بن تيمية ، القاهرة .

(٣) سير أعلام النبلاء : (٣٠٩/١٣) .

وقد قال بعض الزهاد : المؤمن يطلب معاذير إخوانه ، والمنافق يطلب عثرات إخوانه [١] .

ستر العيوب :

فإن المخالط مكاشف لأخلاق من يخالطه، حسنها وسيئها، فإن سترها كان ممن يهتم بأمور من يخالطه، ويستر عيوبه وعوراته، وإلا كان ممن يطلب عثراته، ويتتبع عوراته .

وقد نهانا الله ورسوله عن كشف العورات، وحثّنا على سترها، فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[النور : ١٩] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « **من ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة** » [٢] .

السلامة من الحسد :

والحسد : « هو تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة » ، فقد قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] ، وقال ﷺ : « **لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » [٣] .

فالحسود لا يتمنى الحصول على ما عند صاحبه فحسب، بل ويتمنى

---

(١) القائل هو : عبد الله بن محمد بن منازل الزاهد، والأثر في « آداب الصحبة » للسلمي ص٤٤ .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخاري (٦٦/٢)، ومسلم (١٩٩٦/٤)، وأبو داود (٤٨٩٣)، والترمذي (١٤٢٦)، والنسائي في « الكبرى » (تحفة ٣٨٢/٥) من طريق الليث، عن عقيل عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه – بأطول من هذا – .

(٣) حديث صحيح ، رواه البخاري (٦٢/٤)، ومسلم (١٩٨٣/٤)، وأبو داود (٤٩١٠) من طريق مالك ، عن الزهري عن أنس به .

زوالها عنه، حتى يكون هو المتفرد بها، والحائز عليها، ومثله لا تتأتى من صحبته منفعة ، ولا يتأتى من وراء مجالسته إلا الضرر، فإنه إن تكلم لم ينصح ، وإن أُتمِنَ خان ، وإن تحدث كذب ، فكل همه الحصول على ما بحوزة صاحبه .

وأما الذى سَلِمَ من هذا الداء فإنه ينصح إذا تكلم ، ويصون إذا أُتمِنَ ويصدق إذا تحدث ، فإنه إن تمنى الحصول على ما عند صاحبه لم يتمن أن تزول هذه النعمة عن صاحبه .

ملازمة الحياء :

فالحياء نور لوجه صاحبه، وحفظٌ لنظره، وستْرٌ لعيوب جليسه وصاحبه، وقد قال العلماء : « الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق »[١] .

وقد سمع النبى ﷺ يومًا رجلاً ينصح أخاه فى الحياء ، فقال ﷺ : « **الحياء من الإيمان** »[٢]، وقال ﷺ : « **الحياء لا يأتى إلا بخير** »[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام : « **إن مما أدرك من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت** »[٤].

وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها[٥].

---

(١) رياض الصالحين ص ٢٧٠ .

(٢) حديث صحيح ، رواه مسلم (٦٣/١)، والترمذى (٢٦١٥)، وابن ماجة (٥٨) من طريق ابن عيينة، عن الزهرى، عن سالم ابن عبد الله بن عمر، عن أبيه به .

(٣) حديث صحيح ، رواه البخارى (٦٨/٤)، ومسلم (٦٤/١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح ، رواه البخارى (٦٨/٤) من حديث ربعى بن حراش، عن أبى مسعود به .

(٥) حديث صحيح ، رواه البخارى (٦٨/٤) ومسلم (١٨٠٩/٣)، والترمذى فى الشمائل (٣٥٢)، وابن ماجة (٤١٨٠) من طريق عبدالله بن عتبة، عن أبى سعيد الخدرى به .

حفظ السر :

فقد قال عز من قائل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة، وتفضى إليه ، ثم ينشر سرَّها** » (١).

طيب الكلام :

لقوله سبحان وتعالى : ﴿ واخْفِضْ جناحك لِلْمُؤْمنين ﴾[الحجر : ٨٨]، وقال عز وجل . ﴿ ولو كُنت فظًا غليظ الْقلْب لانفضُّوا من حوْلك ﴾ . [آل عمران: ١٥٩] .

وقال ﷺ :

« **اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة** » (٢).

طلاقة الوجه والسلام والمصافحة عند اللقاء :

ومن صفات الوُدِّ الصحيح – الذى ترجى منفعة صحبته – أيضاً أن يكون طلق الوجه عند اللقاء .

فقد قال النبى ﷺ « **لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق** » (٣)، وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « **اتق الله، ولا تحقرن من**

---

(١) **حديث صحيح** ، رواه مسلم(١٠٦٠/٢) ، وأبو داود(٤٨٧٠) من طريق عبد الرحمن بن سعد، عن أبى سعيد الخدرى به .

(٢) **حديث صحيح** ، رواه بهذا اللفظ البخارى(٥٤/٤) ، ومسلم(٧٠٤/٢) ، والنسائى(٧٥/٥) ، من حديث عدى بن حاتم .

(٣) **حديث صحيح** ، رواه مسلم(٢٠٢٦/٤) ، والترمذى(١٨٣٣) من طريق أبى عمران الجونى، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبى ذر به .

المعروف شيئًا، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » (١).

فطلاقة الوجه تدل على السرور باللقاء، وسلامة الصدر من الشحناء والبغضاء، فهى عنوان ما يكنه الصاحب لصاحبه، والصديق لصديقه، والخليل لخليله .

وأما السلام فهو من أول ما تكلم به آدم - عليه السلام - بعد خلقه ، فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **لما خلق الله آدم قال : اذهب فسلّم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه: ورحمة الله** » (٢).

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ بإفشاء السلام، فقال عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النور : ٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً** ﴾ [النور : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ [النساء : ٨٦]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: « **بعيادة**

---

(١) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد (٦٣/٥)، وابن أبى عاصم فى « الآحاد والمثانى » (١١٨١) ، والنسائى فى « الكبرى » (تحفة : ١٤٥/٢)، وابن حبان فى صحيحه (موارد : ١٤٥٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٧٢/٧) من طريق : سلام بن مسكين ، حدثنا عقيل بن طلحة، حدثنى أبوجرىّ - سليم جابر - به .

وقد توسعت فى تخريجه وذكر طرقه فى كتابى « الهدية فى تخريج أحاديث أدلة تحريم مصافحة الأجنبية»، فالحمد لله على التوفيق .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى (٨٥/٤)، ومسلم (٢١٨٣/٤) من طريق : عبد الرزاق، معمر عن همام بن منبه ، عن أبى هريرة به - بأطول من هذا اللفظ - .

المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس ، ونصر الضعيف ، وعون المظلوم، وافشاء السلام ، وابرار القسم » [١].

وأما المصافحة : فخلق سام، يذهب بالشحناء والبغضاء، والكراهية والضيق – إن وجد– بين المتصافحين .

وقد ندبنا رسول الله ﷺ إلى هذا الخلق السامى بما كان لديه من هديه وهدى صحابته – رضوان الله عليهم – فى ذلك ، فعن قتادة بن دعامة، قال : قلت لأنس: أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم [٢].

حسن الاستخلاف في الأهل :

ومن صفات الود الصحيح والصاحب الصالح أن يخلف صاحبه فى أهله بالخير، ويستر عيوبه وعوراته، ويقوم بحقوقه عليه فى غيابه .

فقد قال النبى ﷺ : « من جَهَّز غازياً فقد غزا، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » [٣].

التعزية عند المصائب :

فتعزية الصاحب لصاحبه تسلية وحث له على الصبر بوعد الأجر، وقد كان من هدى النبى ﷺ تعزية من أصيب بمصيبة موت أو غيره من أهله وأصحابه،

---

(١) حديث صحيح ، رواه البخارى (٨٧/٤)، ومسلم (١٦٣٥/٣)، والترمذى (٢٨٠٩)، والنسائى (٨/٧)، وابن ماجة (٢١١٥) من طريق : معاوية بن سويد بن مقرن ، وعن البراء به .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى (٩٢/٤)، والترمذى (٢٧٢٩)، والبيهقى فى «الكبرى» (٩٩/٧) من طرق : عن همام بن يحى، عن قتادة به ،
وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٣) حديث صحيح ، رواه البخارى (١٤٥/٢)، ومسلم (١٥٠٧/٤)، وأبو داود (٢٥٠٩)، والترمذى (١٦٢٨)، والنسائى (٤٦/٦) من حديث زيد بن خالد الجهنى .

وقد أرسلت ابنة له ـ ﷺ ـ أن ابناً لها قد مات، فأرسل إليها يقرئها السلام ويقول لها :

« إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب » [١].

وعزى آل جعفر فقال :

« اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » [٢].

إخلاص النصح :

فإن من خلص لك حبه خلص لك نصحه ، وقد قال النبي ﷺ : « الدين النصيحة » قيل لمن ؟ قال : « لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم » [٣].

وقال: « حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه » [٤].

---

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري (١/٢٢٣) ، ومسلم (٢/٦٣٥) ، وأبو داود (٣١٢٥) ، والنسائي (٤/٢١-٢٢) ، وابن ماجه (١٥٨٨) من طريق : أبي عثمان النهدي ، عن أسامة بن زيد به .

(٢) حديث صحيح ، رواه بهذه الزيادة الإمام أحمد (١/٢٠٤) - بسند صحيح - من حديث عبد الله بن جعفر - وأصل الحديث عند أبي داود (٤١٩٢) ، والنسائي في الكبرى (تحفة : ٤/٣٠٠) .

(٣) حديث صحيح ، رواه مسلم (١/٧٤) ، وأبو داود (٤٩٤٤) ، والنسائي (٧/١٥٧) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(٤) حديث صحيح ، رواه مسلم (٤/١٧٠٥) من طريق : إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة به .

كانت هذه - أخي المسلم - صفة من يَحْسُن مصاحبته، ومن تصح مجالسته .

وأما إذا لم تتوفر هذه الصفات فى الود أو الجليس، فالوحدة خير منه، والعزلة أفضل منه .

وهذا ما سوف نتعرف عليه فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

العزلة خير من جليس السوء

أخى المسلم :

لقد شح فى عصرنا الحالى وجود الجليس الصالح الذى ورد مثله فى السنة، والذى ذكرنا جانباً من صفاته التى استحق بها هذا الوصف وهذا المثل ، وأصبح التماسه الآن أصعب من التماس الذهب الأحمر، فهذا عصر قد أخبرنا النبى ﷺ بكثرة فتنه، وقلة خيره فقال عليه الصلاة والسلام :

« **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن** » (١).

ولذلك فقد حثنا عليه الصلاة والسلام على اعتزال فضول الصحبة، وما لا يتأتى من ورائه خير، لكثرة جلساء السوء فى هذه العصور المتأخرة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا** » ، وشبك بين أصابعه ، قال : فقمت إليه ، فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلنى الله فداك ؟

قال : « **الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة** » (٢).

---

(١) حديث صحيح ، رواه مالك(٢/٩٧٠) ، وأحمد(٣/٧) ، والبخارى(١/١٢) ، وأبو داود(٢٤٦٧) ، والنسائى(٨/١٢٣) ، وابن ماجة(٣٩٨) من طريق : عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه به .

(٢) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد(٢/٢١٢) ، وأبو داود(٤٣٤٣) ، والنسائى فى «اليوم والليلة» (٢٥٠) ، والحاكم(٤/٥٢٥) من طريق : يونس بن أبى إسحاق، عن هلال بن خباب ، قال : حدثنى عكرمة قال : حدثنى عبد الله بن عمرو به .

وصححه الحاكم ، وأقره الذهبى ، وهلال بن خباب صدوق ، إلا أنه تغير بآخره ، ولكن قد تابعه عليه عمارة بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو بنحوه ، رواه أبو داود(٤٣٤٢) ، وابن ماجه(٣٩٥٧) ، وسنده حسن .

فأخبرنا نبينا الكريم – عليه صلوات ربى وسلامه – بما سوف يكون من فساد وفتن فى العصور المتأخرة عن عصر النبوة، وأرشدنا – وهو الناصح الأمين– إلى ما يجب اتخاذه من تدابير واقية من هذه الفتن والمصائب، وهى :

١ – لزوم البيوت، وعدم الإكثار من مخالطة الناس، لئلا يُصاب بشرر صحبتهم وسوء خلقهم .

٢ – لزوم الصمت، وترك فضول الكلام ، فإن الرجل قد يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً تهوى به فى نار جهنم سبعين خريفاً كما أخبرنا عليه السلام .

٣ – الأخذ بالمعروف، وهو ما وافق الشرع من الكتاب وصحيح السنة، ونبذ المنكر، وهو كل ما خالف الشرع .

٤ – الاهتمام بإصلاح الخلق والدين، وتربية النفس على ما ورد فى القرآن وصحيح السنة، وكذلك القيام بأمر من يعينه أمره، من زوج وولد وأقارب، وعدم الانصراف إلى أمر العامة، إلا إذا صلح أمره وأمر خاصته، وإذا لم يخف على دينه الضياع .

وهذا الذى ذكرناه من الحث على العزلة، والترغيب فى ترك فضول الصحبة هو ما كان عليه سلفنا الصالح ﷺ،وما كانوا يحثون عليه، لما رأوا فى فضول الصحبة من الشر، وفى كثرة الخلطة من السوء .

وقد رُوِىَ عن أبى ذر أنه قال : أن تُملى خيراً فيُكْتب خيرٌ لك من السكوت، ثم سكت ساعة، ثم قال : والسكوت خيرٌ من أن تملى شراً، ثم سكت ساعة، ثم قال : والجليس الصالح خير من الجليس السوء، ثم سكت ساعة، ثم قال : والوحدة خير من جليس السوء [1].

(١) رواه الخرائطى فى «مكارم الأخلاق » (٤٧٦): حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا عباد بن عباد الهلبى، حدثنا يونس بن عبيد، أن رجلاً أتى أبا ذر ، فقال : أنت أبو ذر ؟ قال : فسكت وسكت، ثم قال: ...فذكره ، قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا أن يونس بن عبيد لم يسمع أحداً من =

ولكنهم اختلفوا فى معنى العزلة المندوب إليها فى الأحاديث النبوية الصحيحة، وأفضل ما قيل فى بيان صفة هذه العزلة المندوبة، ما ذكره الإمام الخطابى - رحمه الله - فى كتابه « العزلة » (ص١٤) ، حيث قال :

« ولسنا نريد - رحمك الله - بهذه العزلة التى نختارها مفارقة الناس فى الجماعات والجُمعات، وترك حقوقهم فى العبادات، وإفشاء السلام، ورد التحيات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، ووضائع السنن، والعادات المستحسنة فيما بينهم، فإنها مستثناة بشرائطها، جارية على سبلها، ما لم يحل دونها حائل شغل، ولا يمنع عنها مانع عذر، إنما نريد بالعزلة: ترك فضول الصحبة، ونبذ الزيادة منها، وحط العلاوة التى لا حاجة بك لها » .

وهذا المعنى من العزلة هو الذى كان عليه أئمة السلف - رضوان الله عليهم أجمعين -، وقد رُوى عن الإمام الزاهد، عبد الله بن المبارك - رحمه الله - :

أنه قيل له : إذا صليت معنا لم تجلس معنا ؟

فقال : أذهب مع الصحابة والتابعين .

قيل له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟

قال : أذهب أنظر فى علمى فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم؟! أنتم تغتابون الناس [1].

وأما ما ذهب إليه بعض جماعات المتصوفة من الخلوة عن الناس أجمعين، وعدم شهود الجمع والجماعات والدخول فيما يسمونه بالأربعين فمخالف للشرع الحنيف، ولما أمر به الرسول الأمين، ولما كان عليه الصحابة والتابعون

= الصحابة، فروايته عن أبى ذر مرسلة، والله أعلم .

(١) رواه أبو نعيم فى « الحلية » (٨/١٦٤) بسند فيه ضعف .

وأئمة الدين فى كل زمان ومكان ممن ينتسب إلى أهل السنة والجماعة .

وإلى هذا تشير عبارات أئمة الدين .

قال الإمام النووى – رحمه الله – فى « رياض الصالحين » ص٢٥٧ :

« باب : فضل الاختلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم ، وعيادة مريضهم ، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم،وإرشاد جاهلهم ، وغير ذلك من مصالحهم.، لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء ، وصبر على الأذى » .

وقال : « اعلم : أن الاختلاط بالناس على الوجه الذى ذكرته هو المختار الذى كان عليه رسول الله ﷺ، وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، كذلك الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم ، وبه قال الشافعى ، وأحمد وأكثر الفقهاء رضى الله عنهم أجمعين » .

أخي المسلم :

احرص على ما ينفعك فى دنياك بما يحفظ عليك دينك، لتصفو لك آخرتك بالخير، وتفوز بجنة ربك، وتنجو من عذابه، ولا يكون هذا إلا بترك فضول الصحبة، ومفارقة جلساء السوء فى المجالس، والحذر من مخالطتهم، فإن مخالطتهم داءٌ عضال، يأتى على دين الرجل اللبيب فيذهبه، وكفى بقول النبى ﷺ : « المرء مع من أحب »[1]، رادعًا لمن أدمن صحبة أهل السوء، وتلبس بمجالستهم، وألقى إليهم الأمن والمودة، وقابلهم بحسن الوجه، وبشاشة المطلع .

ولنتعرف الآن أخى المسلم: على أصناف جلساء السوء، وأوصافهم، وما ينبغى على اللبيب اتجاههم .

---

(١) سبق تخريجه .

أصناف الجليس السوء

أخى المسلم :

نتعرف فى هذا الفصل – إن شاء الله تعالى – على أصناف الجليس السوء، والذى تصيب شرر صحبته دين من يصاحبه، أو يُتَهم بما به يتهم، أو يوصف بأن من جلسائه ذلك الجليس السيء، وكفى بها من مضرة .

ونتمثل فى إيراد هذا الباب بقول الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

« كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى » [1] .

[1] متفق عليه .

١- المشرك

وهو من كان على غير دين الإسلام ، من نصرانى، أو يهودى، أو مجوسى، أو بوذى ، أو هندوسى ، وهذا من باب البراء منهم فى دين الله عز وجل .

ولا شك أن الولاء والبراء من الدين كالقلب من الجسد .

وقد قص علينا الله سبحانه وتعالى فى مواضع متفرقة من القرآن مفارقة إبراهيم لأبيه وقومه واعتزاله لهم لشركهم بالله، فقال عز من قائل :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[الممتحنة : ٤] .

وقص علينا سبحانه وتعالى قصة هود مع قومه ، إذ قال لهم :

﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٦) ﴾ . [هود : ٥٤ -٥٦] .

وقص علينا سبحانه وتعالى قصة أصحاب الكهف، فقال :

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ

يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ .

[الكهف : ١٣ - ١٦] .

ثم أمر سبحانه وتعالى بعد ذلك المسلمين بالتمايز عن أهل الشرك - بكافة أصنافه وأنواعه - ومفارقتهم، وعدم مودتهم أو محاباتهم، فقال عز وجل :

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقال سبحانه :

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ .

[النجم : ٢٩، ٣٠] .

وهذا التمايز الذى أمرنا الله سبحانه وتعالى به ضرورى جداً لأن عدمه يورث التواد والألفة بين المسلم والكافر، والنقيضان لا يجتمعان، خاصة إذا كان أحدهما يدين بدينٍ ارتضاه الله لعباده أجمعين، والآخر يدين بدينٍ حَذَّر منه الله سبحانه وتعالى عباده أجمعين .

كما أن مجالسة المسلم للكافر فيه مضرة لعقيدة المسلم من جهة ما قد يلقيه الكافر من الشبه عليه مما لا يحيط المسلم بردها علماً .

٢ - صاحب بدعة

وابتداءً نقول :

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى، ورسوله من الابتداع فى الدين، فقال عز وجل : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] .

وقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » (١)، وقال : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » (٢).

والبدع منشأها الشُبه، واعتمادها على محض العقل، ورد النصوص الثابتة.

ولا شك أن من يجالس المبتدع، أو يوده معرض لخطر الإصابة بشر بدعته، وإن لم يصب بها فأقل أحواله أن يتشكك فى ما يعتقده، لما يلقيه عليه ذلك المبتدع من شبه .

وقد كان دأب السلف الصالحين عدم الجلوس إلى أهل البدع، وكانوا

---

(١) حديث صحيح ، رواه الإمام أحمد (١٢٦/٤) ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذى (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ ، ٤٤) من حديث العرباض بن سارية .

(٢) حديث صحيح :

رواه البخارى (١١٢/٢)، ومسلم (١٣٤٣/٣)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجة (١٤) من طريق سعد بن إبراهيم، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به .

يتركون الرواية عنهم، حتى إذا ماتوا رووا عنهم، وذلك كله إخماداً لبدعتهم، وإعراضاً عن شر الإصابة بها .

وكذلك ففى الجلوس إليهم تكثير لجلسائهم، فيظنه من لا يعرفه أنه من أهل الصلاح والدين والمعتقد السليم، فيأخذ بما يقول، ويتبع ما يرشد إليه، فيصيبه ما أصاب ذلك المبتدع .

ولذلك قال الحسن وابن سيرين: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم [١].

بل صح عن ابن عمر أنه ترك رد السلام عليهم، بل وتبرأ منهم .

فعن نافع، عن ابن عمر : أنه جاءه رجل، فقال : إن فلاناً يقرأ عليك السلام، فقال. بلغنى أنه قد أحدث، فإن قد أحدث فلا تقرأ عليه السلام [٢].

وفى أول حديث أخرجه مسلم فى « الصحيح »، عن يحى بن يعمر، قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميرى، حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبى، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى، فقلت: أبا عبد الرحمن؟ إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفزون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال :

---

(١) رواه الدارمي (٤٠١) بسند صحيح.
(٢) رواه الدارمي (٣٩٣) بسند حسن.

فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم، وأنهم براءٌ مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر [١].

فانظر أخي المسلم إلى هذا البراء الواضح من أهل البدع، على خلاف ما نراه نحن اليوم من الإحسان إليهم وتقريبهم إلى النفوس، والتودد إليهم .

(١) صحيح مسلم (١/٣٦ - ٣٧) .

٢ - المخاصم في دين الله

وهذا النوع ربيب الذى قبله، ومن أكثر الخصام فى دين الله أكثر التنقل، وجعل دينه غرضاً للخصومات ومرتعاً للاختلافات المذمومة .

وقد قال أحد السلف : إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغى الشيطان زلته [١].

وقد كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم – يحذرون من الجلوس إلى مثل هذا الصنف، وينفروا عنه، فعن معن بن عيسى، قال :

انصرف مالك بن أنس رضي الله عنه يومًا من المسجد، وهو متكئ على يدى، فلحقه رجل يقال له أبو الحورية – كان يتهم بالإرجاء – فقال: يا عبد الله اسمع منى شيئًا، أكلمك به وأحاجك، وأخبرك برأيى، فقال : فإن غلبتنى ؟ قال: إن غلبتك اتبعنى، قال : فإن جاء رجل آخ، فكلمنا، فغلبنا ؟ قال نتبعه. فقال مالك – رحمه الله تعالى – : يا عبد الله، بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بدين واحد،وأراك تنتقل من دين إلى دين، قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل[٢].

وعن أيوب السختيانى، قال: كان أبوقلابة يقول : لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإنى لا آمن إن يغمسوكم فى الضلالة، أو يلبسوا عليكم فى الدين بعض ما لبس عليهم [٣].

---

(١) رواه الدارمي (٣٤٠)، والآجرى فى «الشريعة» (ص٥٦)، بسند صحيح عن مسلم بن يسار .
(٢) رواه الآجرى فى «الشريعة» (ص٥٦)، بسند صحيح.
(٣) رواه الدارمي (٣٤١)، والآجرى فى «الشريعة» (ص٥٦)، بسند صحيح.

وعن أيوب السختيانى ، قال : رآنى سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب، فقال لى :

ألم أرك جلست إلى طلق بن حبيب ، لا تجالسنه [١].

وأما العلة فى النهى عن مجالسة أصحاب الخصومات فتتمثل فى: كثرة شكوكهم وشبههم ، التى جعلتهم يدينون كل يوم بدين ، وينتقلون من مذهب إلى آخر، فَيَضِلُّون ، ويُضلون .

فالجلوس إليهم كالجلوس إلى صاحب الكير الذى ينفخ فى ناره ، فإما أن تصيبك بعض وسوستهم فى الدين ، فتأتى على ما فى قلبك من الفطرة، والصراط المستقيم ، وإما أن تشم منه رائحة خبيثة ، وهى عفونة مذهبه ، ونتانة مشربه، وإما أن تُنْسب إليه وإن لم تكن على مذهبه ، لكثرة ما تُرى جالساً إليه .

(١) رواه الدارمي (٣٩٢) بسند صحيح .

٤ - النَّمَّام

وهو من ينقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد [١].

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى، ورسوله عليه السلام من السعى بين الناس بالنميمة، فقال عز من قائل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] .

وقال : ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبى ﷺ على قبرين، فقال :

« إنهما ليعذبان، وما يعذبان من كبير » ، ثم قال « بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله » [٢].

وعن عبد الله بن مسعود قال : إن محمداً ﷺ قال : « ألا أنبئكم ما العضه؟ هى النميمة القالة بين الناس » [٣].

ولا شك أخى المسلم : أن من كانت هذه صفته وطريقته فى اكتساب وجوه الناس، ونيل رضاهم أسوء من أن يُصاحب أو يُجالس أو يقارن .

فإن فيه من عدم الأمانة، وتتبع العيوب والزلات، واستقبال الناس بغير ما يضمر فى قلبه ما يجعل من صحبته شرًا مستطيراً، وداءً يُخشى الإصابة به .

---

(١) « رياض الصالحين » -للنووى - (ص٤٩١) .

(٢) حديث صحيح :

رواه البخارى (٥١/١) ، وأبو داود (٢١/٢٠) ، والنسائى (١٠٦/٤) من طريق : منصور بن المعتمر، عن مجاهد ، عن ابن عباس به .

(٣) حديث صحيح :

رواه مسلم (٢/٤ ٢٠) من طريق : أبى إسحاق السبيعى، عن أبى الأحوص، عن ابن مسعود به .

فإنه يسعى بين الناس بالإفساد، يظهر لهم حرصه على مصلحتهم، ويخفى فى نفسه حرصه على مصلحته وحده، فهو إما أن يفسد بينك وبين إخوانك، وإما أن يجعلك تقع فى أندادك وقرنائك بم يتقرب بنقله إليهم، فمثل هذا صديق نفسه، لا صديق غيره .

فالحذر الحذر من مجالسة هذا النوع ، والبعد البعد عن الانبساط إليه .

٥ - متعاطي الغيبة

وهى أن تذكر الإنسان بصفة ذم وإن كانت فيه .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من هذه الصفة الذميمة، والخلق القبيح فقال تعالى :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« أتدرون ما الغيبة؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: « ذكرك أخاك بما يكره » .

قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال :

« إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته » (١).

ومضرة الجلوس إلى هذا الصنف من الجلساء كبيرة، وخطره عظيم،ذلك لأنه إذا جلس إليك هذا النوع من الجلساء طلب عثراتك ولم يطلب معاذيرك، وإنما طلب عثراتك ليذهب بها بين الناس ليفشيها، ويفشى معها سرك، فيفضحك ويهتك سترك .

ولا شك أن تعاطى الغيبة من الذنوب الكبائر التى حذرنا الله ورسوله منها، وفيها من الآثار السيئة ما لا يحصى :

---

(١) حديث صحيح .

رواه مسلم(٤/٢٠٠١) ، والنسائى فى « الكبرى » (تحفة ١٠/٢٢٣) من طريق: إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة به .

فهى مقطعة للبر، موصلة للقطع .

وهى كشف ما ستر الله من عيوب الخلق .

وهى إفساد بين المسلمين .

وهى تفرقة لكلمة المسلمين .

وهى إشاعة للسر ، وتضييع للأمانة ، فإن المسلم إذا رأى من أخيه عيباً ستره، ولم يفضحه .

ولذلك كان حرى بكل مسلم أن يحترس من مثل هذا النوع من الجلساء، بل ويأخذ على نفسه العهد والميثاق ألا يقع فى مثل هذا الذنب العظيم، وألا يتخلق بمثل هذا الخلق الذميم .

٦ - شارب الخمر

فإن شر هذا النوع مستطير، وخطره عظيم ، وهو بك إلى المضرة ، أكثر مما أنت به إلى المنفعة ، فهو امرئ قد طاش عقله، وخمر ذهنه ، وذهب لبه .

وإن كان قد عصى الله جل وعلا ، إذ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩٠-٩١].

وعصى رسوله ﷺ ، إذ يقول :

« كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها فى الآخرة »[١] .

فكيف يطيعك ، أو تكون لك عنده مكانة وذكراً ؟

إن شارب الخمر قد ارتكب كبيرة من الكبائر، فإن تاب منها تاب الله عز وجل عليه ، وإن مات مصراً عليها ، كان أمره إلى الله سبحانه وتعالى ، فيحرمه يوم القيامة من شرب خمر الجنة .

ومثل هذا الجليس لا ينتفع بمجالسته أبداً ، بل فى التعاطف معه، ولين

---

(١) حديث صحيح.
رواه مسلم (١٥٨٧/٣)» وأبو داود (٣٦٧٩)» والترمذى (١٨٦١)» والنسائى (٢٩٦/٨) من طريق : أيوب السختيانى ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

الجانب له ما يجعله يتمادى فى ارتكابه هذا المنكر، ولا شك أن إنكار المنكر واجب، وهو على درجات ثلاثة :

أولها : باليد .

ثانيها : باللسان .

ثالثها : بالقلب ، وهو أضعف الإيمان .

- كما صح عن النبى ﷺ -

وهذا النوع الثالث لا يكون متحققا أيضًا إلا بمفارقة مكان المنكر، فالجلوس إلى شارب الخمر لا شك أن فيه تضييع لهذه القاعدة الشرعية .

٧- الظالم

فإن من يجالس أهل الظلم، أو يصاحبهم يصيبه شررهم، ويحل به ما قد يؤخذوا به من عذاب الله عز وجل .

وقد قص علينا الله سبحانه وتعالى قصة قارون، وتكبره وظلمه لقومه، وما كان جزائه فى الدنيا من خسف وهلاك .

وفى ثنايا هذه القصة، ذكر لنا سبحانه وتعالى موقف الذين تمنوا أن يكونوا مكانه ، فقال عز من قائل :

﴿ وأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ . [القصص : ٨٢] .

ولا شك أن الإنسان إذا لازم إنساناً يذنب ذنباً كبيراً - كالظلم - أشد من أن يتمنى أن يكون مثله، وقد ورد فى القرآن أن قارون خُسف بداره الأرض، والدار يكون فيها من الخدم والحشم والعمال الكثير، خصوصاً لمن كان فى غنى قارون، فهؤلاء قد خسف بهم أيضاً، مثلهم مثل سيدهم، فكيف بمن أدمن مجالسته ومنادمته .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بالجيش الذى يخرج غازياً الكعبة، فيخسف بهم أولهم وآخرهم، وحتى من خرج معهم على غير نيتهم، أو كان كارهاً .

فعن أم سلمة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ :

« يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم »

فقلت : يا رسول الله ! فكيف بمن كان كارهًا ؟ قال :

« يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » (١).

فإذا كان هذا جزاء من صاحب الظالمين مكرهًا، فكيف بمن صاحبهم راضياً مطمئناً بصحبتهم قلبه، طالباً مرضاتهم، متوددًا إلى قلوبهم ؟!! .

وكذلك فالظالم لا يؤمن جانبه ، ولا يضمن حاله ، ولا يبتغى رضاه إلا الله ، ولا ترجى سعادته إلا بشقاء الناس ، ولا تحصل طاعته إلا بمعصية الخالق .

فإذا كانت هذا صفته ، وتلك طريقته، فكيف يُؤمن شره ، وتُرجى مجالسته وصحبته ؟!! .

(١) حديث صحيح .
رواه مسلم (٤/٢٢٠٩)، وأبو داود (٤٢٨٩) من طريق : عبيد الله بن القبطية، عن أم سلمة به .

٨- المنجمون والكهان

فإن إتيان هؤلاء القوم، أو مجالستهم كبيرة من الكبائر، فقد ادعوا ما ليس لهم به علم، ولبسوا على الناس زوراً وبهتاناً، وادعوا علم الغيب الذى قال فيه سبحانه وتعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [هود : ١٢٣] .

فهؤلاء ينطبق عليهم قول النبى ﷺ :

« المتشبع بما لا يعط كلابس ثوبى زور »[١] .

بل هو أردى من هذه المنزلة ، فهو فى الدرك الأسفل من الضلال، فقد نازع ربه فى بعض صفاته ، فاستحق بذلك اللعن ، والعذاب الأليم.

وقد حذرنا النبى الكريم - صلوات ربى وسلامه عليه - من إتيان هذا الصنف من الناس، أو الجلوس إليهم، أو سؤالهم .

فعن بعض أزواج النبى ﷺ ، عن النبى ﷺ قال :

« من أتى عرافاً فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »[٢] .

ويوم القيامة يتبرأون ممن لازمهم، أو جالسهم مجالسة اعتقاد فيهم، وألفة ومودة واتباع ، قال تعالى :

---

(١) حديث صحيح :
رواه البخارى (٢٦٣/٣) . ومسلم (نووى: ٨٤١/٤)، وأبو داود (٤٩٩٧)، والنسائى فى «الكبرى» (تحفة: ٢٥٥/١١) من حديث أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما .

(٢) حديث صحيح :
رواه مسلم (١٧٥١/٤) من طريق : صفية بنت أبى عبيد، عن بعض أزواج النبى ﷺ به .

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] .

وقد كشف لنا الله ورسوله ﷺ زيف حيل هؤلاء المنجمين، وبطلان ما يدعون ، فقال تعالى :

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٩]

فهؤلاء المنجمون والكهان يستعينون بالجن الذين يسترقون الكلمة، فيزيدون عليها مائة كذبة ، فتوافق صدق الكلمة المسروقة ما يقع، فيظن من لُبِّس عليه ذلك صدق ذلك المنجم فى كل ما يخبر به .

فعن عائشة قالت :

قلت يارسول الله ، إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشئ، فنجده حقًا ، قال :

« **تلك الكلمة الحق يخطفها الجنى، فيقذفها فى أذن وليه، ويزيد فيها مائة كذبة** » [(١)].

(١) حديث صحيح : رواه البخارى (٣١١/٤)، ومسلم (١٧٥٠/٤) من طريق : يحيى بن عروة، عن أبيه ، عن عائشة به .

٩ - الساحر

فمتعاطى السحر وممارسه كافر بالله العظيم ، حده القتل .

ألم تسمع أخى قول الله تعالى :

﴿ وما كفر سُليمان ولكنَّ الشَّياطين كفرُوا يُعلِّمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يُعلِّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفُر فيتعلَّمون منهما ما يُفرِّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلاَّ بإذن الله ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهم ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

فالساحر يدّعى أنه يتصرف فى أحوال الناس بالخير والشر، والنفع والضر، ومثل هذه الصفات لا تكون إلا للواحد القهار .

ومجالسة هذا الصنف ضرره أقرب من نفعه، فإما أن تصاب بشرر سحره ، وإما أن تنالك عاقبة أمره ، أو تصير مثله .

والغريب أن كثيراً من الناس - وخصوصًا النساء - ولهوا بالذهاب إلى السحرة والدجالين لجلب مسافرٍ ، أو تطليق رجلٍ من امرأته ، أو نيل حب حبيب، أو ربط متزوج، أو تفريق بين الأحباب .

ويكون ثمن ذلك إما الإشراك بالله، أو تدنيس الأعراض بالزنا والسفاح . فكيف يؤمن مجلس من كانت هذه صفته، وتلك طريقته ؟!! .

١٠ - الزاني

فإن من استهان بأعراض المسلمين فدنسها ، فلا يكبر عليه حينئذ أن يدنس عرض جليسه فإنه لم يهتم بالنواهي الشرعية عن الزنا الواردة في القرآن والسنة، ولم يعتبر بالأوامر الواردة في الحث على الاستعفاف .

فإن الله سبحانه وتعالى قال في محكم التنزيل :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

[الإسراء: ٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» (١) .

وذكر لنا رسول الله ﷺ ما عاينه من عذاب الزناة والزواني في البرزخ، فقال:

« فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق، وأسفله واسع، يتوقد تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا، حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة » (٢) .

---

(١) حديث صحيح :
رواه البخاري (٣/٣٢٠)، ومسلم (١/٧٦) من طريق :
يونس، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة به .

(٢) حديث صحيح :
رواه البخاري (٤/٢١٩)، ومسلم (٣/١٧٨١)، والترمذي (٢٢٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (تحفة : ٤/٨٢) من طريق : أبي رجاء، عن سمرة بن جندب به .

فالجلوس إلى مثل هذا الصنف من الجلساء لا يأتى من ورائه خيرٌ أبداً، فمجالستهم لا تخلو من النظر إلى النساء ، ووصفهن، وذكر ما يُفعل فى الكيد لهن ، لإيقاعهن .

فمثل هذا المجلس خالٍ من ذكر الله ، ممتلئ بذكر الدنيا والشهوات واقتراف الذنوب الكبائر، فهو بوارده إلى الضرر أقرب، وبصاحبه إلى النار أورد .

١١ - اللوطي

وهو من يأتى الرجال شهوة من دون النساء .

ومثله المرأة الشاذة جنسيًا ، التى تأتى النساء من دون الرجال ، فتمارس السحاق مع مثيلاتها من بنات جنسها .

ولا شك أن من كانت هذه صفته لا يؤمن شر الجلوس إليه ، لميله إلى الرجال من دون النساء .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه السلام مقترف هذه الكبيرة ، فقال سبحانه : ﴿ ولُوطًا إذْ قَال لقومه إنكُم لتأْتُون الْفاحشة ما سبقَكُم بهَا منْ أَحد منَ الْعالمين (٢٨) أَئنَّكُمْ لتأْتُون الرِّجال وتقطعُون السَّبيل وتأْتُون في ناديكُمُ الْمُنكر ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩] .

فمثل هذا الجليس لا يُرتجى نفعه ، بل يُخشى ضره ، وقد قص علينا سبحانه وتعالى قصة امرأة لوط -عليه السلام - وكيف أدركها العذاب مع قومها لتواطئها معهم ، قال تعالى :

﴿ إلاَّ آل لُوط إنَّا لَمنجُوهُم أجمعين (٥٩) إلاَّ امْرأَتهُ قدَّرْنا إنَّها لمن الْغابرين (٦٠) ﴾ [الحجر: ٥٩-٦٠] .

فهل فى ذلك عبرة لمن يعتبر ؟!! .

أخي المسلم :

تلك كانت بعض أصناف الجليس السوء، لم نذكرها لك تعداداً، وإنما ذكرناها اعتباراً وتعريفاً وتذكيراً .

فقد قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

فهذه الأصناف وإن كانت منتشرة فى صحباتنا، وفى مجالسنا ، بل وفى قرابتنا، إلا أننا من كثرة ما أصبنا به من الذنوب، والآثام، أصبحت القلوب لا تنكر منكراً، ولا تعرف معروفاً – إلا من رحم رب العباد – وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على التواصى بالحق – الذى منه هذا – فقال : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر : ١ـ ٣]

ولعلك تتساءل – الآن – أخي المسلم :

إن كانت مثل هذه الأصناف من الجلساء لا يتأتى من صحبتها خير، بل هى الشر نفسه، فماذا يجب علينا اتجاه هذه الأصناف؟

هذا ما سوف نتعرف عليه فى الفصل القادم – إن شاء الله تعالى –

مقامات التعامل مع الجليس السوء

اعلم - أخي المسلم -:

أن التعامل مع جلساء السوء على مقامات :

أولها : تذكيره بقدرة الله وعظمته وجبروته وعذابه ، وأخذه إذا غضب، فلعل قلبه يلين لكلامك وتذكيرك له فيتوب إلى الله من معاصيه ، وسوء خاتمه .

فقد قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات: ٥٥] .

وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) ﴾[عبس: ١١ ، ١٢].

ثانيها : إنكار ما هو متلبس به من منكر :

فلعل يكون إنكار هذا إيقاظة له من سبات معصيته، ووسن (*) خطاياه، وإلا كانت براءة لك مما يفعل ، فقد قال النبي ﷺ :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »(١) .

وعن قيس بن أبي حازم ، قال : قام أبو بكر فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ! إنكم تقرأون هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ

(*) وسن: شدة النوم، أو أوله أو النعاس، والمقصود تنبيهه قبل أن تأخذه المعصية .

(١) حديث صحيح :

رواه مسلم (٦٩/١) وأبو داود (٤٣٤٠) والترمذي (٢١٧٢) والنسائي (١١١/٨ ، وابن ماجه (٤٠١٣) من طريق: طارق بن شهاب، عن أبي سعيد الخدري به .

أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] ، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (١).

ثالثها : هجره :

على أن يكون هذا الهجر بالضوابط الشرعية التى ذكرها العلماء (٢).

ولابد من توافر الإخلاص فى هذا الهجر، وهو قصد الحصول على مرضات الله وثوابه بهجر الجليس السوء، لأن هجره قد يكون سبباً فى توبته ورجوعه إلى الحق .

وكذلك لابد أن يكون صواباً، أى على الطريقة المسنونة فى الهجر، من :

١ - عدم مجالسته .

٢ - الابتعاد عن مجاورته .

٣ - ترك توقيره .

٤ - ترك مكالمته .

٥ - ترك السلام عليه .

٦ - ترك التسمية له .

٧ - عدم بسط الوجه له .

---

(١) حديث صحيح :
رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذى (٢١٦٨)بلفظ: « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه » .
والنسائى فى «الكبرى» (تحفة:٣٠٣/٥)، وابن ماجه (٤٠٠٥) - واللفظ له - من طريق قيس بن أبى حازم به ، وقد اختلف فى وقفه ورفعه، والأصح الرفع، والله أعلم .

(٢) انظر هذه الضوابط فى «هجر المبتدع » - للشيخ بكر أبو زيد - (ص١٤٠) .

٨ - عدم سماع كلامه .

٩ - عدم مشاورته [١].

وليكن شعار المهاجر فى ذلك ، قوله تعالى :

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

(١) انظر « هجر المبتدع » (ص١٧) .

خاتمة

أخي المسلم :

وأخيراً بعد أن تعرفنا على صفة الجليس الصالح والجليس السوء :

ينبغي علينا أن نتخير جلساءنا وأصحابنا على خير وجه ، فهذا زمان قد كثرت فيه الزيوف والأقنعة ، وزاد فيها الخبث حتى استحكم ، بل وساد .

فإن لم نحتاط لأنفسنا في اختيار الجليس الصالح ، فلا نلومنَّ إلا أنفسنا .

ونصيحتي إليك - أخي المسلم - :

أن تبلو أخلاق من تصاحب ، وتتخير من تساير ، وأن تستعين بالله على ذلك ، وأن تخلص النية في ذلك .

والله الموفق إلى ما يحبه ويرضاه .

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتب :

أبو عبد الرحمن

عمرو بن عبد المنعم سليم

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

المقدمة ٥

أهمية اختيار الصحبة ٧

صفات الجليس الصالح : ١٤

- تقوى الله عز وجل ١٤
- حسن الخلق ١٤
- حسن الظن ١٤
- الصفح عن العثرات ١٥
- ستر العيوب ١٦
- السلامة من الحسد ١٦
- ملازمة الحياء ١٧
- حفظ السر ١٨
- طيب الكلام ١٨
- طلاقة الوجه والسلام والمصافحة عند اللقاء ١٨
- حسن الاستخلاف فى الأهل ٢٠
- التعزية عند المصائب ٢٠
- إخلاص النصح ٢١

- العزلة خير من جليس السوء ٢٣
أصناف الجليس السوء : ٢٧
- المشرك ٢٨
- صاحب البدعة ٣٠
- المخاصم فى دين الله ٣٣
- النمام ٣٥
- متعاطى الغيب ٣٧
- شارب الخمر ٣٩
- الظالم ٤١
- المنجمون والكهان ٤٣
- الساحر ٤٥
- الزانى ٤٦
- اللوطى ٤٨
مقامات التعامل مع الجليس السوء ٥٠
خاتمة ٥٣
الفهرس ٥٤

من أحدث مطبوعات دار الإيمان - اسكندرية

الملخص الفقهي ٢/١ .	صالح الفوزان
فقه التمكين في القرآن الكريم .	د.محمد علي الصلابي
كشف الجاني محمد التيجاني	عثمان الخميس
حقيقة الشيعة حتى لا ننخدع	عبد الله الموصلي
من قتل الحسين ؟ .	عبد الله بن عبد العزيز
مواقف وطرائف من التاريخ الإسلامي	حسن زكريا فليفل
معجزات النبي ﷺ .	سعيد عبد العظيم
أمارات الساعة الآتية .	سعيد عبد العظيم
فقه الصلاة .	أشرف محمد نمير
لماذا يخافون الإسلام ؟! .	سلمان بن فهد العوده
معركة الإسلام والعلمانية .	سلمان بن فهد العوده
الجلاء في بيان حقيقة الابتلاء .	سلمان بن فهد العوده
عشرون طريقة للرياء	محمود الأطرش
الخلع .	أمير مطاوع
الجامع في تجويد القرآن الكريم .	كامل المسيري
كتاب العلم وفضله وحكمه ...	محمد بن صالح العثيمين
نعمة الابتلاء في حياة المسلم .	محمود الأطرش
وقفة مع كتاب هرمجدون .	محمود المهدي
النساء أكثر أهل النار .	عصام محمد الشريف

دار الإيمان ... شارع خليل حميدة - مستطفى كفر - اسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع ... تليفون وفاكس ... تليفون ...
E-mail : dar_alemane@hotmail.com